

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي بتيسمسيلت



العدد: 01 - جوان 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت - الجزائر

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية، الإنجليزية.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الأستاذ : مرسي رشيد

المركز الجامعي : تيسمسيلت - الجزائر -

الهاتف / الفاكس : 046/47/56/18

البريد الإلكتروني : Rachidmersi@yahoo.fr

المعيار

مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية، العلمية، الأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتبسمسيلت.
- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.
- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (24/17) بهامش 2.5 سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش 2.00 سنتيم عن أعلى الصفحة.
- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.
- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحة ولا تتجاوز 20 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُؤدّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن أراءك وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسؤول عن النشر

الكلمة الافتتاحية

يعرف العالم الطبيعي الواسع، تقلصا في الامتداد إذ أصبح العالم قرية كونية، وبالمقابل اتسع الفضاء المعرفي وانتشر سعيا وراء معرفة أسرار الكون، أسرار تطلبت من العقل البشري حمدا مضنيا لاستقراء تستجليه الملاحظة، وما يخضع للتجربة المخبرية، ليزداد قربا من الخصائص المميزة للكائنات الحية وغير الحية، بل دفعه الفضول إلى تجاوز فضائه الطبيعي إلى عوالم كان التفكير فيها ضربا من المستحيلات، ونزل على سطح القمر، وما زال يدرس إمكانية الحياة على سطح المريخ، ويزداد حقل البحث امتدادا في فضاء لا نهاية له، ولعل مدلول الآية الكريمة: "يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان" دعوة صريحة إلى خليفته في الأرض، لاكتشاف ذاته من خلال الوقوف على حقائق الأشياء وقيمتها أثرها، وخطورة انعكاساتها، وتجلبت دوافع البحث في نوع الاهتمامات التي شغلت لسان، من أكثرها تجريدا، إلى أدقها برهانا، ويبقى الحضور الإنساني يشكل الحلقة الأرفع في هذا العالم الذي أصبح مسرح للعولمة.

لا شك أن واقع التغيرات المتسارعة، وما أفرزته من مواقف جعلت مهمة الباحث معقدة باعتباره مسؤولا عن تشكيل رأس المال البشري النوعي، واستمالة اهتمام المتلقي نحو الموضوعات التي تنمي الطاقة المبدعة فيه، ويسهم في - الوقت ذاته - في ترقية المجتمع وتماسكه.

أثار هذا الهاجس إرادتنا لإنجاز مجلة المعيار لتكون منبرا معرفيا، وإبداعيا، وفكريا، لكل بحث يرقى مضمونه إلى نيل درجة النشر، ليكون إسهاما إضافيا في الحقول المعرفية، ويلبي حاجة الدارس والقارئ من خلال البحوث التي تحتويها المجلة.

لا يفوتني في هذه الافتتاحية أن أشيد بجهد الفريق الذي سهر على إنجاز "المعيار" في هذا الثوب القشيب، الذي يدرك قيمته ذوقا وحسا، ونعد الباحثين والقراء أن "المعيار" سوف تضرب لهم موعدا، مع بحوث أكثر تنوعا وأكثر عمقا.

د. الطيب بن جامعة

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية

رئيس المجلة:	المدير المسؤول عن النشر:
د . بن جامعة الطيب	د . بلحسين محمد
مديرالمركزالجامعي تيسمسيلت	مدير مساعد مكلف بالدراسات

رئيس الهيئة:	رئيس التحرير
أ . دردار بشير	أ . مرسي رشيد

هيئة التحرير:	
أ . تواتي خالد	أ . دايري مسكين
أ . روشو خالد	أ . بلخياطي الحاج لونيس
أ . يعقوبي قدوية	أ . لعقاب الجيلالي

الهيئة العلمية:

أ.د محمد عباس - جامعة تلمسان -	د . بوسماحة الشيخ - جامعة - تيارت -
أ.د مختار حبار - جامعة وهران -	أ.د شريط عابد - جامعة - تيارت -
أ.د عبد الجليل مرتاض - جامعة تلمسان -	أ. رابحي عبد القادر - جامعة سعيدة -
أ.د محمد بلوحي - جامعة بلعباس -	د . كبريت علي المركز الجامعي - تيسمسيلت -

مقالات اللغة والأدب العربي

- * تظهرات الكاف الموصوفة في قصيدة (كفك دالية الوقت) للشاعر الطيب طهوري:
- الأستاذ عبدالقادر راجحي ص 08
- * موسوعة المعيار للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي:
- الأستاذ محمد بناني ص 21
- * النقد الأسطوري بين التأصيل الغربي والمحاولات العربية:
- الأستاذ مرسي رشيد ص 33
- * مدرسة كوستانس وتجربة التلقي بين الفهم والتأويل:
- الأستاذ هواري بلقندوز ص 49
- * بيانات التفسير في الاتجاه العقلي:
- الدكتور غانم حنجار ص 64
- * الوقت والابتداء واثرها في المعنى:
- الأستاذ بن فريجة الجيلالي ص 74
- * الرافي وميلاد لغة جديدة:
- الدكتور بلحسين محمد ص 89
- * التأويل وفك خداع اللغة:
- الأستاذة بولحية صبرينة ص 98
- * الخط الروائي والنقد السيميائي في الجزائر:
- الأستاذ الدكتور عقاق قادة ص 104
- * شعرية الانزياح في التراث العربي بين حضور المعنى وغياب المصطلح:
- الدكتور أحمد بوزيان ص 112

*الاقتصاد اللغوي وفاعلية الإتصال:
- الأستاذ غري بكاي ص 129

مقالات العلوم القانونية والإدارية
* أثر الدلالات الاصولية في تفسير النصوص القانونية:
- الأستاذ محمد عشاب ص 142
* مركز أسرى الحرب في الاديان السماوية:
- الأستاذ روشو خالد ص 155

مقالات العلوم الاقتصادية والتجارية
* الاطار العام للأداء والعوامل المرتبطة به:
- الأستاذ العيداني إلياس ص 166
* المعايير البيئية في اطار المنظمة العالمية للتجارة بين الحماية التجارية وتحقيق التنمية المستدامة:
- لأستاذ ضويحي حمزة ص 183
* حوكمة المؤسسات في الجزائر:
- الأستاذ عمر علي عبد الصمد ص 198

بيانات التفسير في الاتجاه العقلي

د. غانم حنجار.
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
جامعة ابن خلدون - تيارت

• البداية والافاق :

يصعب تحديد اللحظة التاريخية التي قام معها هذا النوع من التفسير بمواصفاته المنهجية التي آل إليها. ولكن بمقدور الباحث في تاريخ الحركة التفسيرية للممة آثار هذا الاتجاه عند بعض المتقدمين من أهل السلف، ممن ثبت في حقهم أهلية النظر في النص القرآني وبخاصة حين طرأت على الأمة ظروف طبعت واقعها بما اصطلح على تسميته بـ: "الفتنة الكبرى" *.

وكان طبعياً أن تنسحب تداعيات هذه الفتنة على جيل الأمة بكثير من الفوضى. لم يسلم معها حتى منصب "الخلافة".

وإذا كانت شروط الخلافة قد تهيأت لأبي بكر، وعمر، وعثمان فإن حظ الإمام علي منها قد آل إلى أفق لم يفتح دونه إلا على فتن كقطع الليل المظلمة، وكان عليه هنا - والموقف محتوم - أن يلج الخطب، وله من الأسباب ما يتيح له فض النزاع بقوة السلطان، وبرهان الحجة فلم يتحاش في ذلك الناكثين².

ولا القاسطين³، ولا حتى أولئك المارقين⁴. ومع تنامي الخلاف صارت المقولات السياسية تأخذ طريقها إلى الظهور، بوصفها منتوجات أزمة أدّى العقل فيها دوراً إذ كان لمصطلح: الحاكمية والوصاية والخروج، وتحكيم الرجال الأثر البعيد في بلورة الفكر الإسلامي، المستند أساساً إلى النص القرآني، مجسداً في طوائف عرفت فيما بعد بالفرق الإسلامية، كطائفة الخوارج، والشيعة وما انجر عنها من أتباع. واللافت للانتباه أن كل فئة من القوم ظلت تهرع إلى القرآن، تستدر منه أسباب الطاقة حتى تجعل من النص حجة لها.

ولعل هذه المحاولات تكشف بصدق عن البدايات الأولى لترسيم الدرس التأويلي من قبل الخوارج خاصة. فهم أول من نادى بشعار "الحاكمية لله" ثم راحوا يتوسعون في التأويل على ما بهم من قلة العلم والنظر على اعتبارهم قوماً بدأوا وقعوا في مهالك يوم غابت عنهم الحدود الفاصلة بين المحكم والمتشابه. وكان هذا مدعاة لأن يصفهم عبد الله بن عباس يوم «سئل عنهم: وما يلفون عند القرآن؟ فقال: يؤمنون بمحكمه، ويهلكون عند متشابهه»⁵.

والخوارج لم يكونوا في هذا الأمر بدعا من الناس، بل ظل إلى جوارهم غلاة المتشيعية من أمثال: عبد الله بن سبأ. يصدعون برجعة النبي محمد - ص - اعتقاداً منه أنه سيرجع كما يرجع عيسى بن مريم يوماً ما، ووجته في ذلك ما رآه من صريح القرآن في مسألة الرجعة، إذ قال: «إني لأعجب ممن

يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد، وقد قال الله: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»^{6 7}

فانظر إلى مثل هذا الرأي المارق كيف سعى صاحبه إلى تطويع النص المراد اعتقاده، وهو أمر لم تقل به التفسير المعتمدة بحال⁸. لتكشف لنا مقولة "الرجعة" وهي من البدع الأربعة عند متطري الشيعة⁹.

وهكذا نلاحظ أن الأفكار الأساسية في نقاش القوم إنما ظل يبعثه اللبس المترتب عن بعض النصوص المتشابهة في كتاب الله.

2- المتشابه أصل التأويل:

لم يختلف علماء القرآن، والتفسير، والكلام في قضية كما اختلفوا في معنى الحكم والمتشابه. ولا سيما حين اتسعت دائرة الجدل بين أهل الكتاب والمسلمين من جهة أو بين المسلمين أنفسهم يوم بلغت الخلافات السياسية ذروتها.

وكان منتظرا أن يخضع قوله تعالى: «هو الذي أنزل إليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات». فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا¹⁰ «إلى مزيد من التأويل حتى يترتب لدى كل طائفة فهم يصلح معه تأويل الآية وفق ما يعتقدون»¹¹.

فأما نصارى نجران* فقد خاصموا النبي - ص - في المسيح¹² بقولهم:

«ألمست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى. قالوا: فحسبنا. فأُنزل الله

- عز وجل - "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة" ثم إن الله - جل ثناؤه - أنزل "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم"^{13 14} «

والواضح من السياق أن الآية من النوع المحكم، وأن الله أراد من خلالها تقرير حقيقة في تلك الأذهان الموبوءة، مفادها أن مسألة خلق عيسى لم تكن إلا شبيهة بخلق آدم، الذي ولد بلا واسطة. وفي هذا درء وتعطيل لتأويل المشتبه لم تكن الغاية - عندهم - منهم سوى ابتغاء الفتنة.

وهكذا تصير الآيات الثلاث سببا في نزول آيات الحكم والمتشابه كما يذهب في ذلك بعض المعتزلة.

والآيات جميعها من سورة آل عمران وإذا علمنا أن هذه السورة مدنية باتفاق فهمنا ساعتئذ أنها نزلت شاهدة على الجدل الدائر بين أهل الكتاب والنبي - ص - في دار الهجرة، وفهمنا معها أيضا أن التأويل لم يكن مقتصرًا على المسلمين، بل أضحي وسيلة في يد كل المحاجين من غير المسلمين.

الذين ارتفعت بهم قراءة النص إلى مستويات فردية، ذاتية نابعة من التزامات دينية، ومذهبية هي أقرب إلى فعل القراءة¹⁵، وألفهم بالاصطلاح المعاصر.

إلا أن هذا التادي في استباحة النص المشتبه من قبل الطوائف الدينية، والفرق المذهبية أحدث أزمة في فهم حقائق هذا النوع من الخطاب. بل أشاع فوضى صاحبة في دنيا المقلدين. وباتت الدلالة اليقينية التي ينطوي عليها النص المتشابه في حكم المجهول.

وهوما تداركه لاحقا بعض الأعلام حين حرروا الساحة من محاولات المغامرين، والمشاعين بحقائق الدين، فأرجعوا أصل كل فهم إلى وجوه ثلاثة:

أولها: البيان القرآني، وثانيها: الحديث النبوي، وثالثها: إجماع الأمة. «وكل متشابه في القرآن عن أهل الحق فلا مساع للاجتهاد في التفسير، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوفيق من أحد ثلاثة أوجه: إما نص من التنزيل، أو بيان من النبي - ص أو إجماع الأمة على تأويله. فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.»¹⁶

واضح من تصريح صاحب النص بلفظ أهل الحق، يعني عنده أن التأويل أصبح متعينا رفعه عن نظر أهل الباطل من المارقين، وأصحاب الملل المتطاحين في دوائر الجدل القيم. وهذا شعور لا يصدر إلا عن تورع، وغاية صادقة في الذب عن حوض هذا الدين المتين، وإن كان مثل هذه الضوابط الشرعية لا تتأق إلا لمن كان على شاكلة الزركشي عقيدة، ومذهبا. إذ الساحة الفكرية قد انداحت أمام كل ذي مقولة ورأي ودين.

3-آليات التأويل:

المجاز:

كان لزاما على كل مفسر يتجاوز القول بالأثر أن يفعل النشاط للتأويلي إلى أقصى حدوده وعمدته في ذلك لغة النص التي بني بها. ومن هنا تجسدت الدراسات التأويلية على أبرز الآليات اللغوية، بوصفها موصلة إلى حقائق النص المستغلقة على العامة. فكان لظاهرة المجاز، والمعنى الظاهر والمعنى الخفي، ووجوه الإعراب... دلالة على اتساع المجال الدراسي للظواهر اللغوية واقتناع العاملين على الحركة التفسيرية بضرورة الانطلاق من حقيقة اللغة. لأن «كل تأويل هو أساسا تأويل بواسطة اللغة قبل أن يكون تأويلا منصبا على اللغة.»¹⁷

وإذا ما علمنا أن وجهة هذه الفئة من المفسرين كانت خلفيتها المعرفية لغوية محضة جاز القول: إن تفسيرهم قد انصبغ بأصباغ العلوم اللغوية على تنوع فنونها دون أن تخلو من مظاهر النزوع العقلي، إذ اللغة في حدها نشاط ذهني، ولا سيما وأكثرية صال في ساحات الجدل، والكلام بفعل التقاليد

العلمية، والتحرشات السياسية التي كانت تجعل من مناظرات الأنداد والخصوم مقاصد مطلوبة لذاتها.¹⁸

ذلك أن جل ما حققه التفسير الإسلامي في تاريخه المديد كان اللغة فيه الدور الأساس « في تبرير المعاني المستخلصة من النص القرآني »¹⁹ وفق ما تقتضي به آلية التأويل والاجتهاد. ويكون للمجاز فيه نقطة الارتكاز، التي جعلت فرقة كالمعتزلة تراهن عليه في مسار جدلها، وفهمها لأمر الدين ذات الصلة بالنص القرآني خاصة.

« فجعلوا الدليل السمعي تابعا للدليل العقلي، ومرتبا عليه. أي أنهم جعلوا الدليل العقلي أصلا والدليل الشرعي فرعاً على الدليل العقلي »²⁰ وهم في هذا يرون أنفسهم محقين، إذ لا تعارض عندهم بين العقل والنقل. إذ هما متفقان، ومتطابقان.

« ليس في القرآن إلا ما يوافق طريقة العقل، ولوجعل ذلك دلالة على أنه من عند الله من حيث لا يوجد في أدلته إلا ما يسلم على طريقة العقول، ويوافقها. إما من جهة الحقيقة، أو على المجاز لكان أقرب ».²¹

ولئن كانت هذه المقولات قد انتهت إلى مرحلة النضج عند أساطين المعتزلة في القرن الرابع، فإنه يعني من ناحية أخرى أن آلية المجاز إنما نبتت في منابت أهل اللغة أولاً. الذين ربطوا ضوابط مسائلهم بمنصوص الآيات، وراحوا يحتجون على المعاني القرآنية بمحاصيل الفنون اللغوية، على سمت العرب في أساليبهم التداولية، لما شكل الخطاب القرآني ظاهرة استقطبت مختلف الكفاءات العلمية المتواجدة سواء بدافع المناخنة عن العقيدة أم بقصد التشويش على الأفهام من ذوي الفرق الضالة.

وهنا نذكر أن أبا عبيدة معمر بن المثنى (207هـ) كان من أوائل الرجال اكتشافاً لآلية المجاز من خلال كتابه المشهور "مجاز القرآن" وتلا معاصره الفراء

(209هـ) بكتاب لا يقل شهرة عن سابقه هو: "معاني القرآن"، لتفتتح بعدها آفاق البحث بمقاربات متعددة شملت: الجاحظ، وابن قتيبة²² الذي طرح في

"تأويل مشكل القرآن" فيها موسعا لمعنى المجاز، وجعله يشمل « الاستعارة، والتمثيل، والقلب والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار والتعريض، والإفصاح والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد والواحد والجميع خطاب الاثنين. والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء أخرى كثيرة.²³

والملاحظة أن هذه العناوين المذكورة جعلت من النص المنزّه موضوع الدراسة، مما أضفى عليها طابع التفسير اللغوي الصميم وهو ما يجعلنا نفهم أن هذا التوجه من أصحاب التفسير جعل من اللغة خادماً للنص القرآني، تحقق في عملية جمع العربية، ولا سيما لما ظهر في كلام الله نوع تعالي عن أفهام بعض

الخلاص من العرب، ناهيك عن أخلاط الناس من غيرهم، أطلق عليه "غريب القرآن" ²⁴، مما صعد في عملية «الاختلاف في التأويل لتعدد المعاني، وتلون التركيب في اللفظ الواحد.» ²⁵ وهذا الذي يحكيه أبو عبيدة نفسه عن سبب تأليف كتابه «من أن كاتباً للفضل بن ربيع سأله عن قوله تعالى: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" ²⁶ وقال: إنما يقع الوعد والإيعاد بما عرفه مثله، وهذا لم يعرف. فقال له أبو عبيدة: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت امرئ القيس:

المشرّ في مَضَاجِعِي وَمَسْ نُؤْتُهُ زُرُقَ كَأَثِيَابِ أَغْوَالِ

وهم لم يروا الغول قط. ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به. فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزمت في ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا، وأشابهه وما يحتاج إليه من علمه. فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته: «المجاز» ²⁷

فإنما كان مفهوم المجاز عند أبي عبيدة يعني انزياح اللغة عن بعض معانيها الحقيقية. فإنه من جهة ثانية عنده يذهب بالكلام مذهب الغرابة، والابتداع. فإن هذا التصرف إنما يتحقق في واقع الاستعمال بالتمثيل غير المؤلف والحذف الذي غايته اختصار الكلام، وعلى هذا المنحى فسر قوله تعالى: «فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم» ²⁸

يقول: "العرب تختصر لعلم المخاطب بما أريد به فكأنه خرج مخرج قوله: فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم، فحذف هذا واختصر الكلام." ²⁹

ورغم أن آلية المجاز قد أسعفت فريق الاعتزال في إزالة الإشكالات العارضة على مستوى التعبير القرآني، فقد مكنتهم من ناحية ثانية في صرف طاقتهم التأويلية إلى ما يوافق مذهبهم العقلي. فالافتراضات المجازية منعتهم القول بإرادة الحقيقة للتعبير القرآني.

وكان جل ما اشتبه على طوائف المفسرين القمساؤه وجوها من لغة العرب تفيد التخيل والتمثيل باستدعاء النصوص الموثقة شعراً ونثراً تصب بالضرورة في خانة ما يؤمن به القوم من الأصول. ³⁰

وفي هذا الإجراء تطويع عجيب، يصل إلى درجة ليّ أعناق النصوص. والحقيقة التي لا مرأى فيها أن النص القرآني ليس ثابتاً في حقه أن يجري مجرى المجاز أبداً. فكل نص ظاهر وباطن، ومعانيه إما قريبة يصل إليها الإدراك بأدنى طاقة، وإما بعيدة تنفق في سبيلها كثرة الاجتهادات، والتأويلات. فقد فسر المعتزلة وقوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: «رَأَيْمَ خَلِيلًا» ³¹ أي فقيراً إلى رحمته، وجعلوه من الخلّة - بفتح الحاء - استيحاشاً أن يكون الله خليلاً لأحد من خلقه.

واحتجوا بقول زهير:

هـُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْءِ عِبَةٍ يَمْشُلُ لَا غَائِبٌ مَالِيَّ وَلَا حَرَامٌ

أما تعلمون أن الناس جميعا فقراء إلى الله تعالى؟ وهل إبراهيم خليل الله إلا كما قيل، وموسى كلم الله، وعيسى روح الله؟

وقالوا في قوله تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغلولة»³² إن اليد ههنا النعمة لقول العرب: لي عند فلان يد. أي نعمة ومعروف³³

وهكذا نلاحظ أن هذا النوع من التفسير العقلي الذي عجت به مدوناتهم لم يكن على جملهم بردا وسلاما، بل جر إليهم وعليهم خصومات لا تزال تجلب إليهم من النعوت ما جعلتهم أهل زيف وظلام. فقد حكم الإمام أبو الحسن الأشعري* (260-324هـ) على تفسيرهم حكما قاسيا جعلهم في عداد المتهمين في دينهم، حيث جاء في مقدمة تفسيره المختزن ما يلي: «أما بعدلأهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم، وفسروه على أهوائهم تفسيراً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا روي عن رسول رب العالمين، ولا عن أهل بيته الطيبين، ولا عن السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين، افتراء على الله.

قد ضلوا وما كانوا محتمدين، وإنما أخذوا تفسيرهم عن أبي الهذيل يباع العلف ومتبعيه وعن إبراهيم³⁵ نظام الخرز ومقلديه، وعن الأشجج جعفر بن حرب ومجتهبيه، وعن جعفر بن مشير القضي وعن الإسكافي الجاهل ومعظميه، وعن الفروي المنسوب إلى مدينة بلخ وذويه فإنهم قادة الضلال من المعتزلة الجاهل، الذين قلدوهم في دينهم، وجعلوهم معوهم الذي يعولون وركبهم الذي يستندون....»³⁶ فمثل هذا النص يكشف صراع الفكر الدائر بين الفرق الإسلامية، والذي وصل إلى مستوى الشك في العقائد والولاء، وهذا ما توضحه عبارات القدح، والتعبير التي ضمنها أبو الحسن الأشعري كلامه. فليس بالضروري أن يكون هؤلاء ممن ذكر على تلك الصفات. فهم على منهنم التي نسبوا إليها أعلام ملكوا الساحة، وزرعوا أفكارهم لا في دهماء الناس فحسب بل في عليائهم من القادة، والحكام.

الهوامش:

* مصطلح "الفتنة الكبرى" من أكثر الألفاظ تعبيراً عن الحالة العامة التي شهدتها مجتمع المسلمين بعد مقتل عثمان، وما تلاه من الأحداث المؤلمة.

1- ينظر محاجات علي للخوارج في مواقع كثيرة منها: "النهران". المبرد. الكامل في اللغة والأدب. مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت. ج 2/136 وما بعدها.

2- يراد بهم: أصحاب الجمل عائشة وطلحة الزبير.

3- القاسطون هم أهل الجور، والعادلون عن الحق. وعني بهم معاوية وجاعته.

- 4- المارقون: جموع الخوارج من الحرورية، وأهل النهروان. ولعل مصطلح المروق جاء من الحديث: « سيخرج من ضئضي هذا الرجل قوم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية. » تراجع المسألة في الملل والنحل للشهرستاني، ج1/111.
- 5- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص144.
- 6- القصص، 85.
- 7- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص23.
- 8- ينظر تفسير الآية في كل من: الكشف، وتفسير ابن كثير، وحاشية الصاوي.
- 9- وهي: التشبيه، والبداة، والرجعة، والتناسخ، راجع الملل والنحل للشهرستاني، ج1/173 وما بعدها.
- 10- آل عمران، 07.
- 11- ينظر تفسير الآية عند القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إيجاز القرآن، تحقيق أمين الحولي، مطبعة دار الكتب، ط1، 1960، ج16، ص378.
- * مدينة في شمال اليمن على حدود عسير (السعودية)، اشتهرت بالمسيحية منذ القديم.
- 12- يذكر الصاوي في حاشيته: « اتفق أن نصرانيا قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن علي الواقي فقال النصراني للخليفة: "إن في كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله، فقال له: وما تلك الآية؟ فقال النصراني: إن الله يبشرك بكلمة منه، فمن للتبعض ذلك أنه جزء منه، فقال الشيخ: إذا كانت من للتبعض هنا فكذلك هي في قوله تعالى: وسخر لكم ما في السماوات " وما في الأرض " جميعا منه إذ لافرق بينهما، فهت النصراني وأسلم، حاشية الصاوي في تفسير الجلالين، ج1/154.
- 13- آل عمران، 59.
- 14- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص142.
- 15- هناك من الدارسين من يفرق بين مصطلح القراءة والفهم على اعتبار القراءة: فعلا أوليا غايته فهم النص، أما الفهم فهو نشاط ذهني يوصل إلى المعاني البعيدة، يراجع الهادي جطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ط1، 1998، شرعية الآداب، سوسة، تونس، ص25.
- 16- الزركشي، البرهان في علوم القرآن.
- 17- الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ص29.
- 18- كمنظرة أبي سعيد السيرافي، ومنى بن يوسف، ومناظرات البصريين، والكوفيين، وقد شكل العقل في جلها أساس التباري، ذكرها بعضها أبوحيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين في الليلة الثامنة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دت، ص108.
- 19- الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ص140.

- 20- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص 59.
- 21- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل.
- 22- هؤلاء الأعلام ممن ذكرنا إلا وهو معتزلي صريح، أو متأثر بالفكر الاعتزالي حتى وإن كان واحداً كالفرّاء كوفياً فهمتهم عند ياقوت الحموي بالاعتزال. ينظر معجم الأدباء، ج 11/1 وكذلك الاتجاه العقلي للتفسير، نصر حامد أبوزيد، ص 99.
- 23- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 20-21.
- 24- يشكل ابن عباس أول معجم شفوي اهتم بغريب القرآن، من خلال مناظراته المشهورة مع ابن نافع ابن الأزرق، ينظر تفصيلها في بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ج 2، ص 309 وما بعدها.
- 25- الهادي الجطلابي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ص 54.
- 26- الصفات، 65.
- 27- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، نقلاً عن العقل للحارة المحاسبية 100.
- 28- آل عمران، 106.
- 29- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص 101.
- 30- أصول المعتزلة خمسة: التوحيد، العدل، الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- 31- النساء، 125.
- 32- المائدة، 164.
- 33- ينظر الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 372/1.
- * ولد بالبصرة وتوفي ببغداد، إمام متكلم أسس مذهب الأشاعرة، نشأ معتزلياً ثم تولى عن المعتزلة وصار من أكبر خصومهم، ترك ثلاثمائة كتاب منها: مقالات الإسلاميين، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع...
- 34- هو حمدان بن الهذيل العلاف (135-226هـ) من موالي عبد القيس، شيخ المعتزلة بالبصرة، ومقدم الطائفة وناطقها الرسمي. أخذ الاعتزال عن خالد الطويل، عن واصل بن عطاء.
- 35- هو إبراهيم بن سيار النظام (231هـ) تتلمذ على يد أبي الهذيل العلاف، متكلم معتزلي نشأ بالبصرة ومات ببغداد، تتلمذ له الجاحظ، لقب بالنظام لأنه كان ينظم الحرز في سوق البصرة. شاع عنه الأثر الفلسفي لكثرة مخالطته أهل الملل من الثنوية، وملاحدة الفلاسفة، والروافض.
- 36- الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1.

الهوامش

- 1- القرآن الكريم.
- 2- محاجات علي للخوارج في مواقع كثيرة منها: "النهروان". المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
- 3- الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق محمد سيد كيلاني، د.ت.
- 4- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط5/2003.
- 5- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، إيجاز القرآن، تحقيق أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، ط1.1960.
- 6- حاشية الصاوي في تفسير الجلالين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
- 7- الهادي جطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ط1.1998، نشر كلية الآداب، سوسة، تونس.
- 8- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ط3/1977.
- 9- أبوحيان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين في الليلة الثامنة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، د.ت.
- 10- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، المكتبة العلمية، ط3/1983.
- 11- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط2، القاهرة مصر، 1984.
- 12- الذهبي، التفسير والمفسرون، مصر، دار الكتب الحديثة، د.ت.